الحلقة السادسة

(مشهد سباق الخيل لطلاب المدرسة الحربية.. شـهربان بـين المتسابقين.. علي باشا وقربه الشيخ يوسـف الأسـير يـشهدان العرض..)

علي باشا: هل أنت مرتاح في عملك الجديد أستاذا للغة العربيـة في دار المعلمين الكبرى؟

الأسير: نعم، وإنني أشكر الله على فضله علي..

علي باشا: وهل مسكنك الجديد مرتاح فيه؟

الشيخ: كل الراحة..

علي باشا: العائلة الكريمة متى ستصل؟

الشيخ: أرسلت إليهم رسالة عن طريق القنـصل اللبنـاني فـي الآستانة، وحتى الآن لم يصلني منهم رد..

(1) (مرفأ بيروت.. زوجة الأسير وابنتها وابنهـا الـصغير حسن ومعهم ابن الأسير مصطفى وزوجته.. مـسافرون ينتظرون اقتراب الباخرة المسافرة إلـى الآسـتانة مـن الشاطئ.. مصطفى يساعد في حمل الحقائـب.. مـشهد الميناء.. حركة الميناء.. عدد من السفن.. بضائع تنـزل وقوارب تغدو وتروح.. يعود مـصطفى بعـد أن أمـن الحقائب في السفينة.. يعطـي أختـه التـذاكر والأوراق الرسمية)

مصطفى: (لأمه) أتمنى لكم رحلة موفقة.. وأرجو أن لا يصيبكم دوار البحر وتصلوا إلى استنبول.. إن موظفي نقل البريـد سـيكونون برفقتكم وسيرعون شؤونكم.. إنهم شباب طيبون سيساعدونكم، ولكـنهم سيكونون مشغولين بنقل البريد.. أنا بعثت برسالة إلى والـدي أعلمتـه فيها عن موعد السفر وستجدونه في انتظاركم.. أما إذا حدث ما أخـر وصولكم فلا ترتبكوا.. أنت يا فريدة.. أدخلي أول مخفر تجدينه وأعطه عنوان والدك وهم سيتكفلون بالباقي.. (مشهد وداع) قبلي يدي والدي يا فريدة.. وأنت يا حسن استفد من وجودك في الآستانة وادخل المدرسـة على الفور.. مع السلامة.. طمئنوني عنكم حال وصولكم ولا تتركوني مشغول البال عليكم..

(2) (مشهد ساحة سباق الخيل.. شهربان تكون متأخرة قلـيلا ثم لا تلبث أن تتقدم المتسابقين في المرحلـة الأخيـرة.. علي باشا منتشيا بفوز ابنته)

علي باشا: كنت على ثقة بأنها ستفوز، فأنا الذي دربهـا منـذ طفولتها على ركوب الخيل..

الشيخ الأسير: إنها تذكرني بسير الفارسات العربيات في أوائـل الإسلام.. حياها الله.. ولله درها!

علي باشا: إن الله لم يرزقني بصبي، ويسعدني أن أرى شهربان وهي تملك كفاءة الرجال وتتفوق فيها..

الشيخ الأسير: أنا من أنصار أن تملك الفتاة الكفاءة في كل نشاط ما دام في حدود الحشمة والآداب العامة..

مدرس الديانة: ولكن هناك حدود لا تستطيع تجاوزها.. الجهـاد مثلا، هل ترسل ابنتك إلى ميدان القتال؟

علي باشا: لا بالطبع..

الأسير: لماذا لم يفرض الإسلام الجهاد على المرأة؟ لأنها منجبة الجيل والإنجاب عملية خطرة ورعايتها للجيل هو جهاد في سبيل الله.. وحتى تكون مؤهلة جيدا لهذه الرعاية يجب أن تكون متعلمة متفقهة في دينها تتقن لغتها قراءة وكتابة..

علي باشا: حين لا يكون لدينا مدارس للبنات، هل تبقى فتياتنـا جاهلات؟

مدرس الديانة: يكفي الفتاة أن تتعلم القراءة وهي تستطيع ذلك في منزلها..

علي باشا: ألا تحب أن ترى بيننا نساء طبيبات يعـالجن بنـات جنسهن، أو معلمات يقمن بالتدريس في مدارس تنشأ للبنات؟

مدرس الديانة: بلى، ولكننا لانفعل ذلك في مدارس الرجال خوفا من الفتنة وفساد الأخلاق..

علي باشا: هل بدر من ابنتي ما يشير إلى أنها تهـدف لإغـواء الرجال؟

مدرس الديانة: معاذ الله يا علي باشـا.. إنهـا مثـال للحـشمة والأدب.. ولكنها ظاهرة غير محمودة لو تفشى هذا الأمر في مجتمعنـا وأصبحت النساء ينافسن الرجال.. ناهيك أن وجود العنصر النسائي بين الرجال يثير الشهوات التي حرم الله إثارتها، فأمر بالحجاب..

علي باشا: (إلى الشيخ الأسير) هل تعلمون عندكم الفتاة؟

الشيخ الأسير: ليس عندنا أيضا مدارس للبنات، ولكن الله أتـاح لأسرتي أب متفرغ، فكنت معلما لأولادي في كل ما أتقنه مـن علـوم، وكلهم، وليست ابنتي استثناء، يتقنون اللغة والنحو، ويحفظـون الـشعر قديمه وحديثه، ويدرسون الفقه والحديث، ويعرفـون اللغـة التركيـة، والشباب منهم يعرفون اللغة الإنجليزية إذ أتيح لهم متابعة الدراسة ممـا لم يتح لأختهم..

(تتقدم شهربان من المنصة محيية.. تصفيق حـاد مـن طلبـة الكلية.. تترجل ممسكة بعنان الحصان الفائز.. يقلدها رئـيس اللجنـة وساما ويضع في جيدها طوقا من الزهور)

(4) (مشهد قصر الباشا.. غرفة الاستقبال.. السفير الألماني.. علي باشا.. شهربان)

القنصل الألماني: (يفتح علبة ويخرج منها ثوبا) هذا لك ياشهربان، أحدث موديلات هذا العام عندنا (ثوب طويل أزرق بتنورة طويلة كلوش مزموم وإطار معدني عند الحاشية تشكل دائرة واسعة، وأكمام مزمومة عند الكتف وضيقة من الكوع إلى الرسغ..قبة واسعة الصدر)

شهربان: (تتأمله بإعجاب) إنه ثوب رائع.. ليس عندنا من يفصل الثياب هكذا.. شكرا لك..

القنصل: إن أزياءكم جميلة مطرزة بشكل بديع (تخرج شهربان لتقيس الثوب) (إلى علي باشا) كنت أتمنى لو حضرت سباق الخيل في مدرستكم ولكنني كنت مشغولا في فرنكفورت بقضية الضباط.. إن الفتيات أبين الزواج إلا في الكنيسة. ونحن بهذه المناسبة ندعوكم معالي الباشا وندعو الآنسة شهربان لتحضروا الحفل الذي ستقيمه سفارتنا لهؤلاء الضباط وزوجاتهم (تدخل شهربان ترتدي الثوب الأزرق وفوقه يشمق من لونه يغطي فتحة الصدر الواسعة)

شهربان: ما رأيك يا أبي؟

علي باشا: جميل ومحتشم، ولكن لباسك أجمل وأكثر لياقة بك..

القنصل: أهنئك يا شهربان على فوزك في السباق (شهربان تبتسم وتشكر القنصل) إنك في هذا المجال تتفوقين على فتياتنا فلا أعرف أن هناك مدرسة عندنا تشارك فيها الفتيات في سباق الخيل ويفزن.

علي باشا: (بفخر) كنت واثقا أن تعبي لن يذهب سدى مع شهربان..

القنصل: إنني أدعو كذلك العشرة الأوائل الذين كانوا في السباق..

علي باشا: حسن جدا..

(5) (مشهد شارع في الآستانة.. فريدة بنت الشيخ الأسير منتقبة تسير في الشارع مع أمها وأخيها معها حقيبة ومع أمها أخرى.. تسير في شارع الميناء ويلاحقها شباب ماجنون ويسمعونها كلاما غير لائق.. تسير منتصبة غير ملتفتة لعبثهم.. ينقفها أحدهم بحجر يوجعها.. تتوجه إلى مخفر شرطة الميناء وتستنجد بهم ممن يعاكسونها)

فريدة: (إلى رئيس المخفر بالتركية) هل في بلادكم تعاملون فتاة مسلمة هذه المعاملة السيئة؟ إن شارعكم ليس أمينا على النساء تتجول

فيه دون أن تسمع ما يخدش أذنيها.. أليس لديكم شرطة آداب يوقفون الشباب الماجن عند حده؟

رئيس المخفر: آسف يا آنسة.. يبدو لي أن السبب هو أنك تنتقبين.. ففي بلادنا لا تنتقب النساء الحرائر، إنهن يلبسن الشمق.. يجب أن ترفعي عن وجهك النقاب فلا يجرؤ أحد على أن يتعرض لك..

(ترفع فريدة النقاب عن وجهها.. يؤخذ رئيس المخفر بجمال عينيها السوداوين البراقتين.. وجهها الصغير المعبر كله عينان آسرتان)

فريدة: أنا ابنة الشيخ يوسف الأسير اللبناني الذي ينزل ضيفا على مولانا في دار الضيافة.. لقد طلب منا أن نلحق به.. كان المفروض أن يكون في المحطة من يستقبلنا، ويدلنا على مقر والدي ولكننا انتظرنا طويلا دون أن يصل أحد.

رئيس المخفر: على الرحب والسعة.. تفضلوا بالمكوث لحظة ريثما أبعث بمن يتصل بدار الضيافة.. (يخرج دقائق ثم يعود)

حنيفة: قلبي منقبض.. ما هذا الحظ السيئ؟ أن نتأخر في بيروت.. إن والدك لاشك في قلق علينا، وهو لا يعرف أننا وصلنا لينتظرنا في المحطة..

رئيس المخفر: (بالتركية) قيل لنا أن الشيخ انتقل إلى منزل خاص به في ضاحية المدينة.. (فريدة تترجم إلى العربية)

حنيفة: ها أنذا لأول مرة أسافر دون أن يكون زوجي معي فنضيع في بلاد الغربة..

فريدة: أمي لن نضيع.. سيتدبرون أمرنا.. فقط إرفعي عن وجهك النقاب فالنساء هنا لاينتقبن..

حنيفة: (تحسر عن وجهها) هذا أفضل..

فريدة: النقاب يثير فضول الشباب فيلاحقوننا (حنيفة تضحك وهي تذكر أمرا)

حنيفة: أذكر صديقتنا في بيروت ابنة رشيد بك.. والدها ذهب في رحلة إلى السودان وهناك تزوج سودانية فأنجبت له هذه البنت التي جاء بها وهي طفلة فتربت بين أهله، ولم يتقدم لخطبتها أحد عندما بلغت مبلغ الشباب.. إن لها قامة مغرية ومشية كالغزال ولها حديث كأنه السحر.. كانت دائما تلبس كفوفا حين تخرج لزيارة أو إلى السوق.. ومرة ضايقها شباب كانوا يسمعونها عبارات الغزل، ولحقوا بها وهي تدور في الشوارع حتى وصولها بيتها وهم لايكفون عن ملاحقتها، فخلعت كفها لتفتح باب منزلها فشاهدوا يدها السوداء وأصابتهم خيبة الأمل، وقال أحدهم "لو كنا نعرف أنك سوداء لما أتعبنا أقدامنا في اقتفاء أثرك" فرفعت عن وجهها النقاب، فإذا بوجه رائع القسمات.. فتن به أحدهم وكان شاعرا، وأخذ "القمر الأسود" يلاحقه في صحوه ونومه وشعره حتى قر عزمه على الزواج بها..

فريدة: وهل سعد معها؟

الأم: كان أسعد الرجال.. إن الرجل يرى من جمال المرأة ما لا تراه النساء.. وما يأسر الرجل في المرأة كان متوفرا فيهـا.. الحيويـة والمرح وإشراق الذهن ولهفة القلب.. لقد أنجبت له أبنـاء هـم زينـة الشباب وسامة ونجابة.. أحدهم يعمل في البريد مع أخيـك مـصطفى، وهو شاعر كأبيه، وآخر أرسله جده للدراسة في الآستانة فحلا له المقام ووجد عملا فيها..

(6) دار الجوائب.. أحمـد الـشدياق بمفـرده يراجـع مـواد الصحيفة.. يدخل شاب من محرري الجريدة وسيم داكن الـسمرة فـي العشرينات من عمره)

الشاب: هل غادر الشيخ يوسف الأسير الدار؟

الشدياق: لم يأت اليوم، ولعله مريض أو مدعو إلى مكان ما..

الشاب: إن أسرته وصلت!

الشدياق: حقا! أين هي؟ كان الشيخ قلقا جدا بشأنها لأن الـسفينة تأخرت عن موعد وصولها..

الشاب: في مخفر عند الميناء.. لقد اتصل بنا شـرطة المخفـر وقالوا أنهم أرسلوا أحدهم إلى دار الضيافة فأعطوه عنواننا..

الشدياق: اذهب بسرعة يا خالد وخذ عربة وانقل أسرة الشيخ إلى منزله الجديد..

خالد: في الحال..

(6) (قصر علي باشا.. تدخل الأميرة إلى غرفة الجلوس وتلحق بها جاريتان كانتا معها من زيارة إلى أختها)

الأميرة: (بادية الغضب والانزعاج) من في غرفة الاستقبال؟

جارية: مولاتي، السفير الألماني..

جارية أخرى: مولاتي، إن شهربان تلـبس ثوبـا أزرق يطيـر العقل..

الأميرة: استدعها إلي (إلى الجاريـة الثانيـة) اذهبـي لـشأنك وانظري حاجة الضيف..(تدخل شهربان)

شهربان: أترين يا والدتي الهدية الجميلة التي جاءني بها القنصل الألماني؟ (تدور بثوبها كأنها فراشة، فرحة بالثوب الأجنبي)

الأميرة: إجلسي يا شهربان! فلي حديث معك..

شهربان: خير إن شاء الله..

الأميرة: ليس فيه خير أبدا.. عاد إبن خالتك من المهمـة التـي أرسل فيها ومعه زوجة ألمانية..

شهربان: ماذا في الأمر؟ أليس حرا في اختيار من يريد؟

الأميرة: إن أختي تكاد تجن.. تريدك أنت لبهجت.. إن مـستقبله لامع ولا تريده أن يتزوج بأجنبية..

شهربان: ما حدث قد حدث وأنا قبل معرفتي بتورطه قلت لـك بأنني لا أميل إليه كزوج..

الأميرة: إن بهجت ليس ككل الضباط.. مركزه الاجتماعي يؤهله ليكون في أعلى المستويات، وهو وحده الذي يليق بك فتكـونين معـه قريبة من الدائرة التي تحيط بمولانا وتدعمـه.. إن بنـات أسـرتنا لا يتزوجن كبنات العامة بدافع الحب، بل بما يزيد الأسرة قوة وتلاحمـا.. وأنت في السن التي تكون فيها الفتاة أقدر على الانـسجام فـي حيـاة زوجية سعيدة إن توفرت لها الشروط الاجتماعية الملائمة..

شهربان: ليست شهربان التي تفعل ذلك.. ووالدي لا يصر علي أن أتزوج ممن لا أرغب فيه.. أتريدين مني أن أكـون زوجـة ثانيـة لبهجت أفندي لأنه قريب السلطان؟

الأميرة: إنه لن يبق معها طويلا وسيطلقها..

شهربان: ما أدراك؟ خالتي! هي التـي سـتطلق بهجـت مـن زوجته؟.. هذه أمانيها..

الأميرة: صدقيني يا شهربان.. هذه المرأة عابرة فـي حياتـه، طيش شبابه، وما كان في نيته الزواج منها لولا الضغط الذي مارسـه والدك عليه إرضاء للقنصل الألماني.. إنه اتخذ القرار بعد أخذ الموافقة عليه من مولانا.. أما بهجت فلم يكن يدري طبيعة المهمة التـي كانـت تتطلب منه حين سافر إلى فرانكفورت..

شهربان: إن والدي فعل ما يمليه عليه الشرف والدين.. ولو لـم يفعل ذلك لهز في الأعماق صداقة متينة تربطنا بهؤلاء الأجانب الـذين لا مطمع لهم بنا، وضباطنا يعاملون بناتهم معاملة المومسات.. هم الذين يحدثون جيشنا، ويدربون طلابنا، ويقدمون لنا أجل الخدمات..

الأميرة: لن تقوم القيامة إذا طلق بهجت تلك المرأة.. إنـه فقـط ينتظر موافقتك.

شهربان: لا يستطيع يا أمي.. لقد تزوجت تلك النـسوة زواجـا كنائسيا يلزم الضباط بعدم الطلاق..

الأميرة: إنه قادر أن يفتح لها بيتا ويهجرها، ويتزوجك فتنجبـين له الذرية التي يتوق إليها..

شهربان: ما هذا التفكير يا أمي؟ كأنما خلت الآستانة من الرجال الأكفاء، وما عاد فيها إلا بهجت أفندي.. إنفضي من ذهنك إبن أختـك فلن أكون له أبدا، ولا تحاولي أنت وخالتي أن تحرجي علاقتي الأخوية به..

الأميرة: ماذا جاء القنصل الألماني يفعل بعد المؤامرة التي فعلها بأبنائنا الضباط؟

شهربان: جاء يدعوني ووالدي لحضور الحفـل الـذي سـتقيمه السفارة، سفارته لهؤلاء الضباط وزوجاتهم..

الأميرة: وأنت بأية صفة تحضرين هذا الحفل؟

شهربان: أحضره بصفتي واحدة من العشرة الأوائل في سـباق الخيل.. ونحن جميعا مدعوون إلى الحفل..

(7) (مخفر قرب الميناء.. زوجة الأسير قلقة وحسن يغفو علـى كتفها.. فريدة تقرأ في صحيفة تركية كانت على مكتب رئيس المخفر)

فريدة: (إلى رئيس المخفر) هل دار الضيافة بعيدة؟

رئيس المخفر: ليست بعيدة..

فريدة: لقد تأخر النفر الذي أرسلته كثيرا، فإذا سـمحت، إبعـث معنا دليلا وسنذهب بأنفسنا..

رئيس المخفر: أنتم ضيوفنا، ولا يمكن أن نترككم وأنتم متعبون من السفر دون أن نصلكم بالشيخ الجليل الذي حل في ديارنا.. يـدخل الجندرمة ومعه خالد)

خالد: (بعربية لبنانية اللهجة) أهلا، أهلا بخالتي أم محمود وأهلا بالآنسة فريدة وحسن الصغير(يصحو حسن)

أم محمود: هل تعرفنا يا بني؟ إن لهجتك بيروتية..

خالد: ألم تعرفيني يا خالة؟ أنا خالد إبن جيرانكم في بيروت..

أم محمود: يا الله! ما كنت إلا فتى ناحلا لم يـشب بعـد حـين غادرنا بيروت، فكيف لي أن أعرفك وقد أصبحت فارع الطول ممتلـئ الجسم وتربي شاربين؟..

خالد: (إلى فريدة التي كانت تبتسم) كانت فريدة في العاشرة من عمرها حين غادرتم بيروت وحسن لم يولد بعد.. هل تذكرين؟

فريدة: أذكر الصبي الشقي الذي كان يلـبس قمبـازا وكوفيـة وعقالا، والذي كان يلعب الدحل مع أخي مصطفى ويكشني كلما حاولت أن ألعب بها (خالد يضحك)

أم محمود: ولكن أين الشيخ؟ لماذا لم يـأت بنفـسه، هـل هـو مريض؟

خالد: أبدا، ولكنه انتقل منذ قريب من دار الضيافة إلـى منـزل خصص له في الضاحية، وسأذهب بكم فورا إليه..

فريدة: كيف علمت أنت بوصولنا؟

الجندرمة: أعطوني في دار الضيافة عنوان الشيخ في الجوائب..

خالد: (مفسرا) كان الشيخ قد أوكل إلي أن أستعلم عـن موعـد قدوم السفينة التي تأخرت، فهو يعمل معنا في دار الجوائـب.. وكـان شديد القلق عليكم.. فلا الطرق البحرية آمنة ولا طرق البـر وقوافـل العربات آمنة. كنت أذهب وإياه يوميا إلى الميناء فـي انتظـار قـدوم السفينة (يحمل خالد الحقيبتين.. يشكر خالد رئيس المخفر والجندرمة..

الجندرمة يحمل عن خالد حقيبة.. فريدة تشكر رئيس المخفر والجندرمة على شهامتهما.. يخرج الجميع.. فريدة تمسك بيد أخيها حسن.. عربة تنتظر عند باب المخفر.. يدخل خالد أسرة الشيخ إلى داخـل العربـة ومعهم الحقيبتان.. يجلس قرب العربجي.. مشهد الآستانة ليلا.. خالـد طوال الطريق يحادث أسرة الشيخ دالا على القصور والجوامـع التـي يمرون بها)

(8) (مشهد خارجي لمنزل الشيخ على شاطئ البوسفور)

(مشهد داخلي.. يوسف الأسير يقرأ القرآن ثم يستعد للنـوم فيجافيه.. يقف في النافذة يدعو الله أن يحمي أسرته من كل مكـروه.. يمر بخياله حال أسرته وتشتتها.. هو في الآستانة، ولداه فـي مـصر والآخر في بيروت، زوجته وابنته وابنه الصغير في عرض البحر..)

الأسير: (لنفسه) لم تأخروا؟ ما عاد السفر آمنا كما كان منـذ زمان لا في البر ولا في البحر.. فقدنا العالم الموحد الآمـن، الواقـف صامدا كالصخر في وجه المطامع الغربية.. ماذا فعلت به الطموحـات الشخصية لمحمد علي وأسرته من بعده؟ كأنمـا لـم تكـف شـعارات اللامركزية التي أطلقناها في بيروت في أن لا يبقى للحكومة المركزية التي يربطنا بها الإسلام من الهيمنـة إلا قـضايا الـدفاع والعلاقـات الخارجية وطرق مواصلات الإمبراطورية ومالية الدولة العامة.. طالبنا بالحكم الذاتي للولايات تحت لواء الدولة العليـة، ولكـن المتطـرفين القوميين العرب أبوا إلا الإنفصال التام، وعلقوا الآمال على تدخل الدول الغربية! عقدوا القروض الخارجية ومنحوا الإمتيازات وأصبحوا عبيدا للمصارف والفوائد، يحارب العربي العربي، ويحارب العربي المـسلم، والأجانب يجدون مكانهم في أخذ جانب طرف ضد الآخـر، ويتغلغـل نفوذهم وتقوى مصالحهم، وهؤلاء الأتراك أعمتهم الأنانيات فـلا هـم يوافقون على حل الاستقلال الذاتي ولا هم بقادرين على ردع طموحات الغرب، ولا هم يعتبرون من الانتفاضات في كـل الولايـات (مـشاهد قصيرة حية لما يدور في خلد الشيخ.. أحاديث بينه وبين علـي باشـا والشدياق.. يشاهد عربة تقف عند الباب، ويرى بعينيه الحادتين خالـد يهبط من العربة وينزل حقيبة وراء أخرى، ويهبط بعدها حسن.. يهرع إلى الباب ويفتحه قبل أن يصل الحارس إليه ليعلمه بقدوم أسرته.. حسن يكون أول من يركض إليه ويعانقه.. يضمه ويقبله بلهفة مـشوق قلـق اطمأن باله.. يعانق ابنته التي ترتمي على كتفه وهي تبكي.. يسلم على زوجته.. يحدثه خالد باختصار عما جرى وهو يضع الحقائب عند الباب ثم يستأذن بالانصراف، يشكره الشيخ.. يدخل وأسرته إلى المنزل)

الأسير: كدت أجن لتأخركم.. ألف هاجس خطر لبالي..

حنيفة: إن مصطفى رأى أن نتأخر بضعة أيـام كـي يـؤمن سفرنا مع عائلة يعرفها ذاهبة إلى أزمير.. وكان معنا أيضا موظـف البريد الذي يتوقف عند أزمير ويوزع من هناك..

حسن: بابا، بابا أين الحمام؟

الأسير: في الطابق الأعلى.. إذا أحببت أن تغتسل فهناك ماء ساخن في الحمام..

حنيفة: (إلى فريدة) ساعدي أخاك واخرجي لـه ثيابـه مـن الحقيبة..

الأسير: (لزوجته) كيف حال مصطفى؟

حنيفة: إنه سعيد بزواجه، وامرأته حامل أكرمتنا كثيرا. وبيته مرتاح فيه، قال بأنه ملتقى لكثير من الشعراء والأدباء.. هذا جوه الذي يميل إليه، وراتبه يكفيه ويفيض عنه..

الأسير: كنت أتمنى لو ذهب إلى مصر لدراسة الطب كأخويه، أو أي فرع آخر إن لم يكن له ميل للطب، ولكنه آثـر حيـاة الخمـول والزواج الباكر، وغدا سيأتيه الأطفال تباعا ويغرق في تأمين معيشتهم..

حنيفة: أتعلم أن ولدينا محمود ومحمد كانا سيهجران دراستهما بعد أن علما باعتقالك؟..

الأسير: ما هذا الكلام؟

حنيفة: جاءا إلى صيدا يريدان أن يبحثا عن عمـل ويقومـا بأودنا..

الأسير: ما هذا الكلام؟

حنيفة: ولكنني لم أشجعهما على البقاء، بل لمتهما لوما عنيفـا وأجبرتهما على العودة الفورية إلى مصر..

الأسير: حسنا فعلت.. كاد قلبي يتوقف عـن الخفقـان لهـذا الخبر.. أنا لم أترك لأولادي من ثروة إلا العلم، فإن تخلوا عن العلم أو فشلوا جرجرتهم من بعدي الكلاب!..

حنيفة: إن شاء الله سيحققون آمالك.. إن محمود أخبرني أنـه إلى جانب دراسة الطب يواظب على الذهاب إلى الأزهر، وقـد التقـى مؤخرا بجمال الدين الأفغاني العلامة الشهير الذي جاء مصر وأقام فيها فترة قبل أن يسافر إلى الآستانة..

الأسير: سمعت عن وصوله إلى الآستانة ومقابلتـه للـصدر الأعظم عالي باشا.. إنه نزل فيها مكرما مبجلا وعرف الصدر فـضله وبوأه مكانة عليا في مجلسه، ولكنني لم ألتق به حتى الآن..

حنيفة: خبرني عن أحوالك أنت، وكيف تغيرت بك الظروف؟

الأسير: أنا لست موثوقا جدا لأنني ناديت باللامركزية، ومـع ذلك فهم يعاملونني باحترام (تدخل فريدة وحسن وقد اسـتحما وارتـديا لباس النوم.. يقبلان يدي والديهما ويذهبان للنوم..

الأسير: ارتديا كنزة صوفية فوق منامتكما، فليـالي الآسـتانة باردة (يخرجان.. يمسك الأسير بيدي زوجته) كم اشتقت لكم!

حنيفة: وكم خفنا عليك! الحمد لله على سلامتك..

الأسير: لقد طار صوابي لتأخركم (يحدثها عن الخواطر التي كانت تدور في رأسه قبل وصولهم)

حنيفة: أما أنا فكان عندي إحساس داخلي بأن الله لن يضيمك أبدا وسيجد لك مخرجا مما أنت فيه..